رحلة البحث عن شعبان الشامي!

الثلاثاء 13 مايو 2025 02:00 م

كتب: سليم عزوز

سليم عزوز

كاتب وصحفي مصري

إنه طوفان من الشماتة محمود؛ "ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل"، حتى وإن كان الانتصار بحيلة العاجز، أمام ظلم بواح، وأحكام جائرة، وخروج على كل القيم والتقاليد القضائية!

وقد تابعت هذا الطوفان، لكني كنت مشغولا بشيء آخر وهو الوصول إلى معلومات عن هذا الذي كان لسنوات ملء السمع والبصر دون معلومات متوفرة عنه، ولعله أحيل للتقاعد لبلوغه الإحالة للمعاش، وربما لا يزال في الخدمة، لكنه انتهى من قضايا الرأي العام بصدور الأحكام من دائرته، ودوائر غيره من قضاة مثلوا عنوانا سلبيا للعدالة. لا أعرف كم تحتاج مصر من الوقت، وكم تحتاج من جهد، لتجاوز ما تسبب فيه هؤلاء من إساءة، رغم أنهم يمثلون عددا قليلا من القضاة والدوائر، ولا يمكن أن يمثلوا الجسم القضائي العام!

وددت لو أن تجربة الحكم الحالية لجأت إلى النموذج الناصري، فالرئيس عبد الناصر كان يدرك أن القضاء الذي نال استقلاله (في العهد البائد)، وكان القضاة يدركون أنهم سلطة ليست تابعة لأي سلطة، من الصعب أن يحقق من خلالهم ما يريد، فكان القضاء الموازي، وكانت المحاكم الاستثنائية، مثل محكمة الشعب التي يديرها صغار الضباط، مثل السادات وحسين الشافعي، وأيضا مثل الجهول التافه اللواء الدجوي الذي اختير رئيسا لها لفترة بعد تجربة في الأسر لدى إسرائيل، انهار خلالها ولعن عبر الإذاعة جمال عبد الناصر، لكن الرجل الخبرة بالناس، أدرك أن هذا الجبان، صاحب السابقة غير المشرفة سيكون عجيبة في يده، فلا مستقبل يصنعه، ولا تاريخ يحافظ عليه!

ولهذا كان مما يصيبني بالدهشة محاولة الناصريين إدخال الغش والتدليس على الناس، بالتأكيد على أن جاسوسية مصطفى أمين ثابتة بحكم قضائي هو عنوان الحقيقة، وأن السادات أفرج عنه بعفو صحي دون رد الاعتبار إليه، في تجاوز تام بأنه لم يحاكم أمام قاضيه الطبيعي، ولكن عن طريق القضاء الموازي الذي صنعه الزعيم الأوحد على عينه، ومكنه من سمعة الخصوم وكرامتهم!

ولم يكن عبد الناصر بحاجة إلى القضاء الطبيعي، ولهذا فإن مذبحة القضاة كانت لأسباب سياسية، ولأنه لم يتمكن من تطويع نادي القضاة، فاستن قانونا جديدا ليعطيه سلطة إعادة تعيين القضاة، ففعل واستبعد مائتي قاض، عادوا بحكم قضائي في بداية عهد السادات!

الجاهل بالقانون:

وعلى مدى ثلاثين عاما فإن الرأي العام لم يعرف سوى دائرة واحدة يتيمة بنظام مبارك، أحيل رئيسها للمعاش، فاستبدل دائرة بدائرة، هي التي حاكمت سعد الدين إبراهيم وأيمن نور وآخرين، واللافت أنها نفس الدائرة التي أحيل لها ملف قضية الرئيس مبارك بعد ثورة يناير 2011، لكن أحد المحامين عن أسر شهداء الثورة هدد بتقديم طلب برد المحكمة في أول جلسة، فدخل معه في مساومات انتهت إلى تنحيه طواعية استشعارا للحرج دون تقديم طلب برده!

الأمر اختلف بعد ذلك من خلال هذا العدد من الدوائر الذي نظر في قضايا سجناء الرأي (وهو مسمى قانوني لعل أول من ذكره في أحكامه هو المستشار سعيد العشماوي منذ قضية التنظيم الناصري المسلح)، وهذه الدوائر هي لمرحلة كثر فيها أعداد المتهمين، وكان يمكن قبول الأمر،

لولا الرعونة التي بدا عليها رؤساء هذه الدوائر وكان القاضي شعبان الشامي هو أحد هؤلاء!

فمن أين جاء الشامي هـذا؟ فلم نكن نعرف منهم سوى القاضـي شـيرين فهمي، لأن عمله قـديما في النيابة كان له صـلة بقضايا الرأي العام، وكـان معروفـا عنه اعتـداده بنفسه، ويمكن فهم قبوله لهـذه القضايـا، وتعـامله مع المـاثلين أمامه بقسوة، أنه يعبر عن انحيازاته، ويـدافع عن دولته، وبالمقارنة بين عجرفته في التعامل مع الرئيس محمد مرسـي وخنوعه أمام الرئيس مبارك (وكلاهما متهم)، يتجلى هذا الانحياز واضحا، وما كان له أن يجهر به، فيتعامل كضابط بوليس في قضية نشل في الأتوبيس، لكنه رأى أن ينهي حياته القضائية هذه النهاية البائسة!

أما الشامي وإخوانه، فلم نتعرف عليهم من قبل ذلك، كما لم أجد محاميا واحدا ترافع أمامهم في السابق في أي قضـية، وإذا استبعدنا شيرين فهمي، فلم يكون هؤلاء يمتلكون القـدرة حتى على إدارة الجلسات بشـكل يحفظ للقضاء وقاره، لأنهم بـدوا يجهلون ما عليهم، فكان هذا الباب الـذي دخل منه بعض المحامين للأخـذ والرد معهم، للانجرار في مشاجرات قبل مرحلـة الاشـتباك بالأيـدي، يبدو خلالها القاضـي الجليل جاهلا بالقانون، غشيما في التعامل!

الطوفان المرعب

وقـد جمع بين الشـامي وآخر العجز في القراءة السـليمة، وهمـا من تخرجا في كليـة الخطباء (الحقوق)، والتي كانت معملا لتخريـج الساسـة، صحيـح أنه بعد عام 1952 تم إهـدار كرامتها لصالـح كلية الاقتصاد والعلوم السياسـية التي أنشـئت بعد ذلك (فكرة هيكل)، وتخرجت منها الابنة الكبرى لجمال عبد الناصر وخطيبها (زوجها فيما بعد وطليقها الآن)، لكن مع كل ما لحقها من استخفاف لم يكن يُتصور أن يكون من تخرج فيها على هـذه الدرجـة من الإعياء التام في القراءة من ورقـة مكتوبـة! ولا أدري كيف أمكن لهـذا الضـعف المطاع أن يتم قبوله ابتـداء في سـلك القضاء، فمتى حدث هذا وكيف حدث؟ وكيف نجح في الاختبارات؟!

وبينمـا طوفـان الشـماتة بغرق منصـات التواصـل الاجتمـاعي، بشـكل وصـفه لي زميل بأنه "مرعب"، كنت أنا مشـغولا بمحاولـة التوصل إلى معلومات عن الفقيد، الذي قال خبر وفاته إنه عاش في صـراع مع المرض لفترة طويلة، دون أن نسـمع عنه شـيئا ودون حتى إرساله للخارج للعلاج من باب تكريمه، والدولة المصـرية عرفت هذا النوع من التكريم، وعندما نُقل الشاعر عبد الرحمن الأبنودي لمستشـفى القصر العيني، بسـبب جرعة زائد من الدواء، أمر مبارك بسـفره للعلاج في باريس، وهو العرض الذي قدمه له في اتصال هاتفي، فلما قال له الشاعر الكبير إن الأمر لا يستدعي السفر للعلاج، قال له الرئيس: "روح اتفسح!"

وميزة الحكم الحـالي أنه لاـ يشـعر أن عليه "فواتير" لأحـد، ومن ثم صـار أمر شـعبان الشامي يخصه. وبعض المتحمسـين للمرحلـة ظنوا في مرحلة معينة أنهم شركاء في الحكم، فجاءتهم البيانات فالتزموا حدودهم، مثل أحمد الزند، وتهاني الجبالي، وأيضا مثل عدد من الإعلاميين!

وبدا هذا واضحا في التشييع المتواضع لجثمان الفقيد، فلا ممثل عن السلطة ولا حشد من القضاة، وقد تمت الجنازة بدون حضور رئيس النادي أو أي من أعضاء المجلس، وإن كنت أعتقـد أنه سـتتم التغطيـة على هـذه الصورة بسـرادق عزاء ممتلئ، لأن هـذا التشـييع المهين مثل مدخلا لشـماتة الشامتين، إنها جنازة بـدت قاصـرة على الجيران، فأين أهل الفقيد، هل هو مقطوع من شـجرة؟ وأين اللياقة الاجتماعية التي يشترط توافرها فيمن يعينون في القضاء والخارجية، وقد اسـتُبعد الشاب المتفوق دراسيا والذي تخرج في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية من العمل في وزارة الخارجية لعدم لياقته اجتماعيا، فانتحر بإلقاء نفسه في نهر النيل؟!

العزوة الغائبة:

وفي مجتمع المدينـة فإن البديل لعزوة القبيلة هي عزوة الزملاء والأصدقاء ومحيط العمل، وفي حالته فإن السـلطة هي البديل لهذا وبإمكانها خلق جنازة مهيبة، لكنها لم تكترث بهؤلاء، ولم يستطيعوا أن يبرروا أحكامهم بما يمثل سلاحا في معركة الصراع السياسي!

ولاـ أعرف لمـاذا كـان الحرص على تصوير الجلسـات ونقلهـا أحيانا على الهواء، واسـتبعاد الحكمـة القائلـة إذا ابتليتم فاسـتتروا، وأي بلاء على القاضـي أكبر من عجزه عن قراءة جملة بشـكل صحيح، فيهين وظيفته ويفضح نظام التعليم في مصر، وقد بدا وهو يقرأ حيثيات الحكم مجرد حامل لشهادة محو الأمية.. فمن هؤلاء الناس، ومن أين جيء بهم؟!

بحثت ولم أجـد على النـار هـدى، وانتظرت في المنشورات على منصات التواصل الاجتماعي، أو التعليقات لعلي أجـد من يقول إنه يعرفه عن قرب؛ كأن يكون زميلا في العمل، أو رفيقا في السـفر، أو جارا بالجنب، أو زميل دراسة، لنقف على شخصـيته. وأنا مشغول بالبحث في أصل وفصل مثل هـذه الشخصـيات الغريبـة، ففي النشأة والتكوين والمحيط الاجتماعي من قبل ما يفسـر الحالـة، فعلتها مع قيس سـعيد، وعندما احتـدم الخلاف مع الكَل على مولاه والمقطوع من شـجرة، رئيس مجلس الشورى أحمد فهمي، وليس في سـجله ما يؤهله لهذه الترقية إلا أنه صهر رئيس حزب الحرية والعدالة، ذهبت أكتب على منصات التواصل سائلا من هذا الشـخص؟ من يعرفه؟ ما هو تاريخه؟ ما هي حكايته؟ إلى أن وجـدت بعد معاناة من يرد بأن المذكور ترك بلده المنوفية مبكرا، وتزوج في الشـرقية، حيث يعمل في جامعة الزقازيق، وقديما سـئل جحا عن بلده؟ فأجاب: التي منها زوجتي!

وعنـدما قلت لرئيس أحـد الأحزاب إنني أشك أن رئيس مجلس الشورى إخوان، فأنا أعرف نخبتهم بحكم عملي الصـحفي.. أجاب بثقـة بالغـة: أؤكـد لك أنه إخوان، فلما عـدت لأسأله عن مصـدر المعلومـة وبدا لي أني وقعت على كنز ثمين... قال أخبرني بذلك قائد الحرس، فلما سألته وكيف عرف؟ قال إنه اعتقل لمرة واحدة وهذا هو الضابط الذي ألقى القبض عليه، فكرمه بهذا التعيين!

حتى رئيس البرلمان السابق علي عبد العال، وجدت قاضيا يقول إنه زامله في كلية الحقوق، وأن عبد العال هذا كان الأول على دفعته.. تصور

يا مؤمن، هذا الذي يحتاج لإعادة صياغة، هو الأول على دفعته!

ومع هذا لم أعثر على معلومة عن القاضي شعبان الشامي، أو قاضي الإعدامات الذي غادر وترك لأسرته كل هذا التراث من الشماتة. فمن يسرّه الآن أن يقول إنه قريب أو زميل أو نسيب شعبان الشامي!

إنها شماتة مرعبة!

تقارير

من الأطباء إلى المحامين والعسكريين ومن سيناء للوراق إلى مطروح... لا أمان لأحد بمصر في ظل حكم السيسي

الأربعاء 16 أبريل 2025 07:20 م

تقارير

ديون على المكشوف... لماذا يشتري الأجانب 41.3 مليار دولار من ديون مصر؟

الأربعاء 16 أبريل 2025 04:30 م

مقالات متعلقة

ةزّغ ىلع ةيشافلا ةدابلإا برح فدهي قرعلا ريهطتلا

التطهير العرقي هدف حرب الإبادة الفاشية على غزّة

ريجهتلا لأيدب ةدابلإا بمارت راتخا لهه؟

هل اختار ترامب الإبادة بديلاً للتهجير؟

ةيثبعلا وهاينتن برح

حرب نتنياهو العبثية

ايروسي ف بلاقنلا تلشفأ لماوع 6

6 عوامل أفشلت الانقلاب في سوريا

- التكنولوجيا
- دعوة
- التنمية البشرية
- الأسرة
- ميديا

- الأخبار
- المقالات
- تقارير
- الرياضة
- تراث
- حقوق وحريات

إشترك أدخل بريدك الإلكتروني

جميع الحقوق محفوظة لموقع نافذة مصر 2025 ©